الباب الأول

مركز المرأة

النساء شقائق الرجال :

فى الحديث الشريف : أن رسول الله «صلعم» قال: إذا رأتِ المرأةُ الماء فَلْتَغْتَسِلْ ، فقالت أمُّ سلَمَةَ[1] : يا رسولَ اللهِ ، وهل للمرأةِ ماءٌ؟ قال: فأنّى يُشْبِهُهُنَّ الوَلَد[2] ؟ إنّما هُنَّ شقائق) .

« فأنّى : استفهام ، أى فمِن أىّ وَجه أو فكيفَ يُشْبِهُهن الولد إن لم يكن مِن ذا ! وقوله صلوات الله عليه : إنما هن شقائقٌ : يعنى أن الرجلَ والمرأةَ كَعَصا ارفضّتْ شِقَّتَيْنِ، أو تقول . إنّ النساء نظائر الرجال وأمثالهُم فى الأخلاق والطباع ، كأنهن شُقِقْنَ منهم ، وَلِأن حوّاء خُلِقتْ من آدمَ عليه السلام » .

***

ومن أمثالهم (إنّ النساء شقائقُ الأقوام)

« شقائق الأقوام : أى شقائق الرجال ، قال علماء اللغة : القوم : الرجال خاصةً . قال تعالى (لا يَسْخَرْ قومٌ من قَوْمٍ عَسَى أن يكونوا خيراً مِنهم ولا نِساء مِنْ نساء عَسَى أنْ يكنّ خيراً مِنهنّ) فلو كانت النساءُ من القومِ لم يقُلْ ولا نساء من نِساء . وقال زُهير ابن أبى سُلْمَى :

وَمَا أدْرِى وَسَوْفَ إخَالُ أدْرِى أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِسَاء

قالَ ابنُ الأثير : القومُ فِى الأصْلِ مصدرُ قَامَ ، ثم غُلِب على الرجال دون النساء ، وسُمُّوا بذلك لأنهم قوّامونَ على النساء بالأمور التى ليسَ للنساءِ أن يَقُمْنَ بِها ، قال

---

(١) هى أم المؤمنين زوج سيدنا رسول الله (٢) ومن قولهم : كلُّ فحل يَمْنِى وكلُّ أنثى تَقْذِى ، يقال : قذت الأنثى تقذى : إذا أرادت الفحل فألقت من مائها .

الجوهرى : وربما دخل النساء فى القوم على سبيل التبع ، لأن قوم كل نبى رجال ونساء » .

***

وقالت إحدى البنات اللاتى عنسهن أبوهن فأخذن يفكرن فى أمرهن[1] :

أيعذل لا هينا ويلحى على الصبا ... وما نحن والفتيان إلا شقائق[2]

***

المرأة سكن الرجل :

قال عز وتقدس : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

« قوله سبحانه : من أنفسكم : أى من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر ؛ وذلك لما بين الاثنين يكونان من جنس واحد من الإلف والسكون ، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ، وقال بعض المفسرين : قوله من أنفسكم : أى لأن حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال ، أما قوله عز وجل : لتسكنوا إليها فإنه يقال : سكن إليه : إذا مال إليه ، كقولهم : اطمأن إليه ، وقد سمى العرب المرأة سكنا ، وفى الحديث (اللهم أنزل علينا فى أرضنا سكنها) أى غياث أهلها الذى تسكن أنفسهم إليه وتطمئن ، ثم قال تعالى : وجعل بينكم مودة ورحمة ! أى جعل بين النساء والرجال التوادّ والتراحم ، بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينهم

---

(١) أنظر خبرها وخبر أخواتها فى باب حنين النساء إلى الرجال .

(٢) يلحى : يعذل ويلام ، والصبا : الميل إلى الهوى ، والمراد ميل الفتيات إلى الفتيان ، تقول : كما أن الفتيان لا بُدّ لهم من الفتيات يتزوجوهن فالفتيات لا بد لهن من الفتيان يتزوجنهم ، إذ أن طبيعة الفتاة كطبيعة الفتى ، وما الفتيان والفتيات إلا من جرثومة واحدة ، فليس ينبغى أن نلام على الصبا والميل إلى الرجال .

سابقةُ معرفة ولا سببٌ يوجب التعاطفَ من قرابة أو رَحِم ، وقيل : إن المودّة والرحمة من قِبَل الله وأن الفَرْكَ مِنْ قبل الشيطان[1] ، وقال بعضهم : المودّة : كناية عن الجماع ، والرحمة عن الولد ، وقال رجلٌ لسيدنا رسول الله : يا رسول الله ، الرجل يتزوج المرأة لا يَعْرِفها ولا تَعرفه ثم لا يكونُ إلا ليلةٌ حتى لا يكونُ شيء أحبَّ إليه منها ، وإليها منه ! فقال رسول الله : تلكَ أُلْفة الله ، ثم تلا قوله تعالى (وجعلَ بينكم مودّة ورحمة » « وبعد » فهل سمعتَ أو تتوقع أن تسمعَ مثلَ هذه الآيةِ الكريمة جمالاً ورَوْعةً ولُطفا فى العبارة عما يكون بين الزوجين من التعاطف وذلك الرباطِ المقدّسِ الذى لا يُحسُّه ويتذوقه ويراحُ لهُ إلا الرجلُ السعيدُ يرزقه اللهُ زوجاً صالحة تكون له رَوْحا ورَيْحاناً وجنةَ نعيم !

***

وقال سبحانه « هُوَ الَّذِى خلقكُمْ مِنْ نفْسٍ واحِدَةٍ وجَعَلَ مِنْها زوجَها لِيَسْكُنَ إليها » .

وقال عز من قائل « هُنَّ لِباسٌ لكُمْ وأنتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ » .

« يقول سبحانه : كل فريق منكم يسكُنُ إلى صاحبه ويلابسه كما قال : وجعل منها زوجَها ليسْكُنَ إليها ، والعربُ تسمّى المرأة لباساً وإزاراً ، قال النابغة الجعدىّ :

إذا ما الضَّجِيعُ ثَنَى عِطفَها تثَنَّتْ فكانت عَلَيْه لباسَا

ويقال لَبِستُ فلانةَ عُمْرِى ، أى كانت معِى شبَابِى كلَّه ، ولَبِستُ امرأةً : أى تمتعت بها زماناً ، ولبست قوما : أى تملَّيْتُ بهم دهرا ، قال النابغة الجعدى فى طول عمره :

لبِستُ أناساً فأفنيتُهُمْ وأفنيتُ بعد أُناسٍ أُنَاسَا
ثلاثةُ أهْلِين أفنيتُهم وكانَ الإلَهُ هُوَ المستَآسَا

---

(١) الفَرْك بفتح الفاء وكسرها — بغض الرجل لامرأته ، أو بغض امرأته له . يقال : فرك الرجل امرأته فَرَكا وفِرْكا : أى أبغضها ، وكذلك يقال للمرأة : فركته تفركه فركا : أى أبغضته ، قال اللغويون : ولم يسمع هذا الحرف فى غير الزوجين ، « أى أنه لا تستعمل مادة فرك إلا فى بغض الزوجين » .

« المُسْتَآس : المستعاض . يقال : استآسَنى فآسْتُه ، أى طلب إلىَّ العِوَض ، واستآسه : استعاضَهُ ، والأُوْسُ : العِوَض » وقال أعرابى يرثى آخر :

فلَوْ كانَ شَيْخاً قد لَبِسْنا شَبَابَهُ ولكنه لم يَعْدُ أنْ طَرَّشَارِبُهْ

« لبسنا شبابه : تمتعنا بشبابه ، وجواب لو محذوف ، أى لم نَجْزَع عليه ، وطرشاربه — بفتح الطاء أفصح من ضمها — : طلع ونَبَتَ »

***

وقال جلّ شأنه « زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ من النِّسَاءِ والبنينَ والقناطيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذهبِ والفضةِ والخيلِ المسَوَّمَةِ والأنعامِ والحرْثِ ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حُسْنُ المآب » .

« جعل الله سبحانه النساء رأسَ الشهوات بتقديمه إياهن على ما ذَكَرَ منها ، وذلك لتقدمهن من قلوب الرجال على جميعهن ، وأطلقَ الشهوات على المشتهيات مبالغة » .

***

وجاء في الإنجيل « أما قرأتم أنَّ الذى خَلَقَ مِنَ البدء خَلَقَهُما ذَكَراً وأنثى ا من أجل ذلك يَتْرُكُ الرجل أباه وأمَّه ويلتصق بامرأته ، ويكونُ الاثنان واحدا ، فالذى جمعه الله لا يُفَرِّقُه الإنسان » .

وجاء في التوراة « وقال الرب الإلٰه : ليس جَيِّداً أن يكون آدمُ وحده . فلْنصنَعْ لهُ مُعِيناً نظيره » .

وقالوا :

المرأة أبهج شىء فى الحياة — كوتفوشبوسى

المرأة تاجُ الخليقة — هرود

خُلِقَتِ المرأة لتُشْعِرَنا معنى الحياة ، فهى مثال الرقة والكمال — فولتير

إذا كانت المرأة هى التى حرمتنا النعيمَ فى الجنة فهى وحدها التى تستطيع أن تعيده إلينا .

— روتبر

أعظم مخلوق هو المرأة إذا عرفت قدرَ نفسها . غولدستون

قلب المرأة أعظم مَصْدَر للحنان والعَطْفِ إذا أحبت الرجل ، وأكبرُ مَكْمَنٍ للضغينة والحِقْد إذا كرهته . لوثر

إن النساء حُورٌ هَرَبْن من رَضوان ، وهَجَرْن الفراديس لتلطيف شقاء بنى الإنسان . الاسكندر ديماس

البيوت بدون النساء الصالحات قُبور . بلزاك

كلما حاولت أن أتخيَّلَ السَّعادة تمثلَتْ أمامِى فى صورةِ امرأة حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل . قاسم أمين

الرجل نَثْرُ الخالق والمرأةُ شِعْرُه نابليون

ابحث عن قلب أىّ امرأة تجد أمًّا . ميشيليه

إلهامُ المرأة فى الأعم الأغلب أصحُّ من نظر الرجل . جوستاف لوبون

لكى يحبُّكَ النساء يجب أن تدَعَهن يعتقدن أنك لا تفهمهن فإنهن لا يتصورن أن الرجل قد يفهمهُنَّ ويحبهن معا . شامفور

لا يوجد وَحْشٌ مُفْتَرِسٌ فى الغابة ولا ثُعْبَانٌ غادرٌ فتّاك فى الأحراش أقسى فى طبيعتِهِ مِن الإنسان فى معاملته المرأة ، يخونها وهو عاشق ، ويُهملُها وهى زَوج ، وينساها وهى أمّ ! ماري كورلي

أيَّةُ فضيلة تُنْتَظَرُ مِنْ رجلٍ يأخذُ على عاتقه أن يعبَثَ بعواطِفِ امرأة ويحتقِرَها لأنها صارَتْ ما أراد ، ويَشْنَأها ويزدَرِيها لحبِّها إياه ويتركها بعد أن شاطرها الملذّاتِ التى تَرَكَتْ فى أحشائها حَسْرةً ومرارةً وألما ! وى سانكور

هو روح الإنسان الذى يجعله يقول : سأكون عظيما ، ولكن هو عَطْفُ المرأة الذى يجعله غالبا عظيما . بيكون نفيلد

لِيَحْذَرِ الرجالُ من أن يكونوا سببَ بكاء النساء لأن الله يعُدُّ دموعهن النلهود

* * *

المرأة فى اللغة :

المرء : الرجُل ، والأنثى : مرأة ، وللعرب فى المرأة ثلاثُ لغاتٍ ، يقال : هي امرأتُه ، وهى مَرْأتُه ، وهى مَرتُه ، والمُرَيْئَة : تصغير المرأة ، وتقول : إنّ فلاناً تزوّج امرأةً ، تريد : امرأةً كاملة ، كما يقال : فلان رَجُل ، أى : كامل فى الرجال ، والنَّسَوَةُ والنُّسوة والنُّسوان اجمع المرأة على غير قياس ، كما يقال : ذلك وأولئك[1] ، والنِّسَاء جمع نِسوة ، إذا كثُرْن ، والإضافة إلى نساء : نَسَوِىّ ، فرُدَّ إلى واحده — وهو نُسوة — وتصغير نُسوة : نُسَيَّة ، ويقال : نُسَيَّات ، وهو تصغير الجمع ، هذا ، وكما يقال للرجل مَرْء وللأنثى امرأة يقال للرجل : إنسان ، وللمرأة : إنسان ، وإنسانة ، وإن كانت إنسانة عامّيّة . وقد وردت فى أشعار العرب قليلا ، قال أعرابى :

إنسانةُ الحىّ أمْ أُدْمانةُ السَّمُرِ بالنَّهْىِ رقَّصها لَحْنٌ من الوتَرِ[2]

أمّا فى شعر المحْدَثين فقد قالَ الثعالبى :

لقد كسَتْنى فى الهوَى ملابسَ الصَّبِّ الغَزِلْ

---

(١) أى أن أولئك جمع ذلك على غير قياس .

(٢) الأدمانة : الظبية يعلوها جدد فيها غبرة ، وتسكن الجبال ، وهى على ألوان الجبال . يقال : ظبية أدماء وأدمانة ، والسمر : شجر صغار الورق قصار الشوك ، والنهى : الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء ، واللحن فى الأصل : الغناء وترجيع الصوت ، والوتر أحد أوتار القوس والمزهر ، وقال علماء البيان إن مثل هذا البيت من قبيل تجاهل العارف للتدله فى الحب والدهش ، و بعده :

إنسانةٌ فتّانةٌ بَدْرُ الدجَى منها خَجِلْ
إذا زَنتْ عينى بها فَبالدموعِ تَغْتَسِلْ

وحكى الصَّفَدِىّ فى شرح لامية العجم أنّ ابنَ المستكفى اجتمع بالمتنبى فى مصر وروى عنه قوله :

لا عَبْتُ بالخاتَمِ إنسانة كمثل بدْرٍ فى الدجَى الناجِمِ
وكلّما حاولتُ أخذِى لَهُ من البَنَانِ المُتْرَف الناعِمِ
ألْقَتْهُ فى فيها فقلت انظروا قد أخفَتِ الخاتَمَ فى الخاتَمِ

وقال ابن سُكَّرَة الهاشمى من شعراء يتيمة الدهر :

فى وَجْه إنسانة كلفْتُ بها أربعةٌ ما اجتمعْن فى أحد
فالخدُّ وَرْدٌ والصُّدْغُ غاليةٌ والرِيقُ خمرٌ والثَّغْر من بَرَدِ
لكلِّ جُزْءٍ من حُسْنِها بِدَعٌ تُودِعُ قلبِي ودَائِعَ الكمَدِ

ترتيب أسنان النساء :

قال ابن الأعربى : الأنثى تُسَانُّ الذكر حتى الكُعُوب والشُّبُول ، فالشُّبُول للذكر[1] ، والكعوب للأنثى . . . أقول : وعلى هذا يكون ترتيب أسنان المرأة هكذا : هى طِفْلَةٌ ، ما دامت صغيرة ، ثم وليدة : إذا تحركت ، وربما سميت غُلامَة ، كما يسمى الولد غلاماً من لَدُنْ فِطامِه إلى سبع سنين ، قال أوْسُ بن عَلْفاء الهُجَيْمِىّ يصف فرساً :

يامَا أُمَيلِحَ غزلاناً شدَنْ لنا من هؤلَيّاء بين الضال والسمر
بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أمْ ليلى من البَشَر

وقد نسبوا هذه الأبيات لبدوى يسمى كاهن الثقفى وينسب بعضها لغيره .

(١) جاء فى اللسان : شبل الغلام يشبل شبولا : ربا وشب ، ولا يكون إلا فى نَعَمٍ : أى رفه ، وهو شابل .

أعانَ عَلَى مِراسِ الحربِ زَغْفٌ مُضَاعفَةٌ لَهَا حَلَقٌ تُؤَامُ
ومُطَّرِدُ الكعوبِ ومشْرَفِيٌّ مِنَ الأُولَى مَضَـــارِبُهُ حُسَامُ
ومِرْكَضَةٌ صَرِيحِيٌّ أَبُوهَا يُهَانُ لهـــا الغُلَامَةُ والغُلامُ

« زَغْفٌ : دِرْعٌ مُحْكَمَةٌ ، وتُؤَامُ : جمع تَوْأم : أى مُزْدَوِج ، ومُطَّرِدُ الكعوب : يعنى الرمح ، ومشرفى : يعنى السيف ، ومِرْكَضَة ! أى أن هذه الفرس رَكَاضَةٌ تركضُ الأرض بقوائمها إذا عَدَتْ وأحضرت — أسْرَعَتْ — وترْوى : ومُرْكِضَةٌ ، يقال : أركضت الفرس فهى مُرْكِضَةٌ ومُرْكِض ! إذا اضطرب جنينها فى بطنها ، والرواية الأولى أنسب » .

وقال كثيرٌ من عُلماء اللُّغة ! إنَّ الغلامَ — ومثله الغلامة — يُطْلَقان حتى بعد البلوغ ؛ ثم كاعِبٌ وكَعَابٌ ، وهى التى كَعَبَ ثَدْيُها ، وذلك حين يَبْدُو ثَدْيُها للنهود ، ومن طِبَاع الكاعب الصِّدْقُ فى كل ما تُسْألُ عنه ، وقِلَّةُ الكِتْمَانِ لما علمته ، وقِلَّةُ السِّتْرِ والحياء ؛ ثم إذا هى نَهَدَتْ فهى ناهد ، وتسمى المُفَلَّك ، يقالُ ! نَهَدَ الثدى وفلَّك ، إذا استدارَ ولم يتكامَلْ بَعْدُ شبابُها ، فتَسْتَتِرُ بعضَ الاستتار ، وتُظْهِرُ بعض محاسنها ، وتحب أن يُتأمَّل مِثْلُ ذلك منها ، ويقال لهذه : ناشىء وناشئة ، كما يقال للغلام بعد الاحتلام ! ناشىء وهم النَّشْأُ والنَّشْأ ، قال نُصَيْب :

ولولا أنْ يقالَ صَبَا نُصَيْبٌ لقلت : بِنَفْسِيَ النَّشْأُ الصِّغَارُ

ثم هى مُعْصِر ، ويقال : مُعْصِرَة ، قال الشاعر :

مُعْصِرَةٌ أو قد دَنَا إعصارها ينحلُّ مِنْ غلمتها إزارُها

وهى التى امتلأتْ شبابا واستكمل خَلْقُها وعَظُمَ ثدياها ، وقيل : هى التى قد راهقت العشرين ، ومن طبائع المُعْصِر أنْ يحدُثَ عندها دَلالٌ وأدب ، ومحلوٌ ألفاظها ويعذُبَ كلامُها ، وتشتدَّ غُلْمتُها ، ويقال للمعصر : مُخْبِئَةٌ ، لأن

الشأن فيها أن تستتر ، والعرب تقول : خُبَأَةٌ خيرٌ من يفعَةِ سَوْءٍ ، ومعناه : بنتٌ تلزم البيت تخبأُ نفسها فيه خيرٌ من غلام سَوْءٍ لاخير فيه ، أما قولهم امرأة طُلَعَةٌ خُبَأَةٌ فمعناه : التى تطلِّعُ ثم تخبأُ رأسها ، وهو معنى لا يحمَدُهُ العرب وغير العرب . ثم هى عانِس ، إذا جاوزت حدَّ الإعْصَار ، وتهيَّأَ ثدياها للانكسار ، وعُنِّسَتْ : حُبِسَتْ عن الزوج . وعبارة أبى عُبَيْد : هى التى تعجزُ فى بيت أبويْها لا تتزوج . . . وقد يكون العانس للرجل وأنشدوا :

مِنَّا الذى هو ما إنْ طَرَّ شاربُهُ والعانسُونَ ومِنَّا المرْدُ والشِّيبُ[1]

قالوا : ومن طبيعة العانسِ أن تُحَسِّنَ مِشيتَها ومَنْطِقَها ، وتبدىَ محاسِنَها بغُنْجٍ ودَلَال ، وأحبُّ الأشياء إليها مُفاكهةُ الرجال ومداعبتُهم ، وهى فى هذه الحالة قويَّة الشَّهْوَة مُستحكمَتُها ، ثم هى مُسْلِفٌ ونَصَفٌ وعَوَان ، وهى التى قد بلغت خمساً وأربعين سنة ونحوها ، وهذه قد تناهى شبابها وأخذ ماء وجهها فى النقص ، ولحمُها فى الاسترخاء ، وهى التى قالوا فيها :

لاتَنكِحَنَّ عجوزاً إن أُتيتَ بها واخلَعْ ثيابَكَ مِنْها مُمْعِناً هَرَبَا

وإن أَتَوْكَ وقالوا إنَّها نَصَفٌ فإنَّ أمثلَ نِصْفيها الذى ذهبَا

ومن شِنْشِنة المُسْلِف هذه أن تُلاطِفَ الرجالَ وتحرِصَ أشدَّ الحرصِ عليهم ، ثم هى شهربة وشهبَرة وشهلة كهْلَة : إذا كانت مُسِنة وفيها قوَّة ، ثم هى حيزبُون : إذا كانت عالية السِّنِّ ناقصة القوَّة ، ثم هى لَطْلَطٌ : إذا قوَّست وانحنت وسقطت أسنانُها :

* * *

(١) ما إن طر شاربه : أى ما طر شاربه ، فان زائدة وما نافية ، وطر شاربه : طلع ونبت من باب نصر وضرب ، والمرد : جمع أمرد ، والشيب : جمع أشيب . وفى هذا البيت عيوب منها ، أنَّ ذِكْرَ المرد لا يحسن لأن الذى لم ينبت شاربه أمرد . « انظر المغنى لابن هشام مادة « ما » .

كناياتهم عن المرأة :

العرب تكني عن المرأة بالجارة، والطلة، والحرث، والفراش، والسرحة، والعتبة، والقارورة، والنعجة — البقرة الوحشية — والشاة — أى الظبية — والقلوص — الفتية من الإبل — والقوصرة، فأما الجارة فيقول الأعشى :

* أيا جارتا بيني فإنك طالقه[1] *

وقال فى اللسان: والمرأة جارة زوجها لأنه مؤتمر عليها وأمرنا أن نحسن إليها، وأن لا نعتدى عليها، لأنها تمسكت بعقد حرمة الصهر، وصار زوجها جارها، لأنه يجيرها ويمنعها ولا يعتدى عليها؛ وأما الطلة فهى أصيلة عند بعضهم، وكناية عند آخرين، والطلة أيضاً : الزوجة كما سيأتى، قال الشاعر :

وإنى لمحتاج إلى موت طلتى ... ولكن قرين السوء باق معمر

فياليتها صارت إلى القبر عاجلا ... وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال عمرو بن حسان :

أفى نابين نالها إسافٌ ... تأوه طلتى ما إن تنام

« الناب : الشارف من النوق، وإلساف : اسم رجل » وأما الحرث فى القرآن الكريم

---

(١) يروى أن الأعشى كان متزوجاً بامرأة من عنزة فأتاه أخ تانه وقالوا له: والله لا ترفع عنك العصا حتى تطلق امرأتك فانك قد أضررت بها فقال :

أيا جارتا بيني فانك طالقـــة ... كذاك أمور الناس غاد وطارقه

فقالوا والله لا نرفعها عنك حتى تثنى فقال :

بيني فان البين خير من العصا ... وأن لا تزال فوق رأس بارقه

فقالوا حتى تثلث فقال :

وبيني حصان الفرج غير ذميمة ... وموموقة قد كنت فينا ووامقه

(نساؤكم حَرْثٌ لكم) قال فى اللسان : والمرأة حرث الرجل ، أى يكون ولده منها كأنه يَحْرُثُ لِيَزْرَعَ ، وأنشد المبرد :

إذا أكَلَ الجرادُ حرُوثَ قوم فحَرَّثى هَمُّهُ أكْلُ الجرادِ

« يعنى بِحَرْثِه امرأة » وأما الفِراشُ فقد قال تعالى فى وصف نساء الجنة (وفُرُشٌ مرفوعة) يعنى نساء أهل الجنة ذوات الفرش ، ومرفوعة : أى رُفِعْن بالجمال عن نساء أهل الدنيا ، وكل فاضل رفيع ، ألا تراه يقول على إثرها (إنَّا أنشأناهُنَّ إنشاءً فجعلناهن أبكاراً) وروى عن بعضهم أنه قال لرجل أراد أن يتزوج : استَوْثِرْ فِراشَك ، أى تخير السمينة من النساء ، ويقال : فلان كريم المفارش : إذا تزوج كرائم النساء .

وأمّا السَّرْحة — وهى الشجرة — فقد قال الامام الأزهرى : العرب تَكْنِى عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء . ومنه قول اسحاق بن ابراهيم الموصلى :—

يا سَرْحَةَ الماء قد سُدَّت مواردُه إمّا إليك طريقٌ غير مسدودِ
لِحائمٍ حامَ حتى لاحَراكَ به مُحامٍ عن طَريق الوِرد مَرْدُودِ[1]

كَنَى بالسرحة النابتة على الماء عن المرأة ، لأنها حينئذ أحسنُ ما تكون ، وقال حُمَيد بن ثَور :

أبَى الله إلاَّ أنَّ سَرحة مالك على كل أفنان العِضاهِ تَروق[2]

كَنَى عن امرأة مالك بسرحة مالك أحسنَ كناية ، وعبَّر عن تفوقها في الحسن على سائر الغوانى أحسن عبارة ، والعضاه : أعظم الشجر ، وقيل : اسم

---

(١) حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئا وتحلئة : طردها ، أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده ، والحائم : العطشان يحوم حول الماء .

(٢) تروق : أى تزيد عليها بحسنها وبهائها ، من قولهم : راق فلان على فلان : إذا زاد عليه فضلا ، وحميد بن ثور هذا قد أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن الخطاب ، وكان عمر قد تقدم إلى الشعراء أن لايشبب أحد بامرأة إلا جَلَدَهُ فقال حميد بن ثور قصيدته القافية التى منها هذا البيت « انظر الأغانى طبعة دار الكتب ج ٤ ص ٣٥٦ »

يقع على ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكه ، والواحد : عِضَاهة » وأما العتبة فقد رَوَوا أن إبراهيم عليه السلام زار ابنه اسماعيل وهو فى مكة ، فوافق حضورُه غيبتَه عن منزله ، فقدمت عليه امرأته ، وأخبرته بسوء حاله ، ولم تعرض عليه القِرَى فقال لها : قولى لابنى : إن أباك يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تُغَيِّر عتبتك ، فلما رجع اسماعيل وقصت عليه المرأةُ القصةَ طلّقها في الساعة امتثالا لأمر أبيه ، لأن قوله غيّر عتبتك كناية عن طلاقها ؛ وأما القارورة ففى الحديث أن رسول الله قال لأنجَشة وهو يَحْدو بالنساء (رِفْقًا أنجَشَةُ بالقوارير) أراد بالقوارير النساء ؛ وأما النعجة والشاة — والنعجة فى الأصل البقرة الوحشية ، قال أبو عبيد : ولا تقال لغير البقر من الوحش ، قال عمر بن أبى ربيعة :

قلت إذْ أقْبَلت وَزُهْرٌ تَهادى كَنِعاج المَلا تَعَسَّفْن رملا[1]

وقال ذو الرمة يصف رملة — واحدة الرمل :—

إذا ما علاها راكب الضَّيف لم يَزَلْ يرى نعجةً فى مَرْتَع فَيثيرُها

مُوَلَّعةً خنساء ليست بنعجة يُدَمِّنُ أجوافَ المياه وَقِيرُها

« يقول : هى نعجة وحشية لا إنسية تُدَمِّن أولادُها أجوافَ المياه ، والضَّيف : جانب الجبل أو الوادى ، ومولعة : مخطوطة القوائم ، والخنساء : قصيرة الأنف عريضة الأرنبة ، والبقر كلها خُنْسٌ ، ويُدَمِّن : يغيّر ، من دَمَّنَت الماشيةُ المكان : بعرت فيه وبالت ، والوقير : صغار الغنم وأولادها » أقول : أما النعجة ففى قصة داود فى القرآن

---

(١) الزهر : جمع زهراء وهى البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشياً رويداً بسكون ، شبه النساء ببقر الوحش فى سكون المشى فى الرمل ، وتعسفن : ركبن ، وإذا مشت البقر فى الرمل كان أسكن لمشيها لصعوبة المشى فيه .

الكريم (إنّ هذا أخى له تِسعٌ وتسعون نعجةً ولِيَ نعجةٌ واحدة) فجعل النعجة كناية عن المرأة ؛ وأما الشاة — ومرادهم الظبية أو البقرة الوحشية . فقد قال الأعشى :

قد كنتُ رائدَهَا ، وشاةِ مُحاذِرٍ ... حَذِرٍ يُقِلُّ بعينـــه إغفالَها[1]

فظَلَلْتُ أرماها وظـلّ يحُوطُها ... حتى دَنَوْت إذ الظلام بَدَالها[2]

فرمَيتُ غَفلةَ عينه عَنْ شاتِه ... فأصَبْتُ حبةَ قلبها وطِحالها[3]

وقال عنترة فى معلقته :

يا شاةَ ما قَنَصٍ لِمن حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ علىّ وليتها لم تَحْرُمِ[4]

فبَعَثْتُ جاريتى فقلت لهـا اذهبي ... فتجسَّسى أخبارها لىَ وأعْلمى

قالت : رأيت من الأعادى غِرَّةً ... والشاة ممكنة لمن هو مُرْتَمِ[5]

---

(١) و (٢) و (٣) قد كنت رائدها فالضمير يعود إلى ما فى البيت قبله ، ثم قال ورُبّ شاة رجل محاذر يقل إغفال عينه ، فظلات أراقب الشاة — أى امرأته الجميلة — وظل هو يحفظها حتى قربت منها حين قرب الظلام ودخل الليل فرميت شاته حين غفلة عينه عن شاته التى كان يحفظها — وفيه نوع تهكم — فأصبت حبة قلبها — أى وسطه — وأصبت طحالها . شبه حالة ظفره بمراده على حين غفلة من الرقيب و إصابة أحشاء المرأة بالحب بحال من ظفر برمى الشاة بالسهم على غفلة من الراعى ، وقد عابوا عليه قوله وطحالها وذلك أن أدباء الشعراء إنما يذكرون الفؤاد والقلب والكبد عند ذكر الهوى وغلبة الشوق لما يجدونه فى هذه الأعضاء من حرارة الوجد ولم يجدوا للطحال فى هذه الحال حرارة عشق أو نار حزن فلم يذكروه .

(٤) ما : زائدة يقول : يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها فانها قد حازت أتم الجمال والمعنى : هى حسناء جميلة مَمْنَعٌ لمن كلف بها وشغف بحبها ولكنها حرمت على وليتها لم تحرم أى ليت أبى لم يتزوجها ، وقيل : أراد بذلك أنها حرمت عليه باشتباك الحرب بين قبيلتيهما .

(٥) يقول : فقالت جاريتى : صادفت الأعادى غافلين عنها ، ورمى الشاة ممكن لمن أراد أن يرتميها ، يريد : أن زيارتها ممكنة لطالبها لغفلة الرقباء عنها .

وأما القَلُوص — والقلوص فى الأصل : الناقة الشابة — فقد كتب رجل من المسلمين — واسمه بُقيلة الأكبر الأشجعى وكنيته أبو المنهال — إلى عمر بن الخطاب من مَغْزًى له فى شأن رجل كان يخالف الغزاةَ إلى المُغيبات[1] وهذا الرجل يسمى جَعْدة بن عبد الله السلمى ، وكان واليا على مدينتهم ، قالوا : وكان يُخرج الجوارىَ إلى سَلْع جبل — عند خروج أزواجهن إلى الغزو فيُعَقِّلُهن كأنه زوجهن ، فكتب أبو المنهال إلى عمر بهذه الأبيات :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا ... فِدًى لكَ من أخى ثقة إزارى
قلائصنا هداك الله إنّا ... شُغلنا عنكم زمنَ الحصار
فما قُلُصٌ وُجِدْن مُعقّلاتٍ ... قفا سَلْع بمختلف التجار
يُعَقِّلهُنّ جعدة من سُليم ... وبئس مُعقَلُ الذَّودِ الخيار

« أراد بالقلائص النساء ، ونصب قلائصنا على المفعول باضمار فعل ، أى تدارك قلائصنا . وكنّى بالإزار فى البيت الأول عن المرأة أو النفس يقول : نفسى وأهلى فدى لك ، وقوله : فما قلص وجدن معقلات . يعنى نساء مُعَقَّلات لأزواجهن كما تُعَقَّل النوق عند الضراب ، وسلع : جبل . وقفاه : وراءه وخلفه ، ومختلف التجار أى فى حيث يختلف التجار ، وقوله : يعقلهن جعدة ، أراد أنه يتعرض لهن ، فكنى بالعقل عن الجماع ، أى أن أزواجهن يعقلونهن وهو يعقلهن أيضاً ، كأن البدء للأزواج والاعادة له ، والذود : القطيع من الابل ، والمراد النساء » .

فلما وقف عمر على الأبيات عزله وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده ، مائة معقولا — مشدودا بالعقال — وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه أن يَدْخل ليُجَمِّعَ — أى يصلى صلاة الجمعة — فكان إذا رآه عمر توعده ، فقال :

---

(١) المغيبة : التى غاب عنها زوجها

أكُلَّ الدهر جمدةُ مستحق أبا حفص لِشَتْمٍ أو وعيد
فما أنا بالبرىء براه عُذْرٌ ولا بالخالع الرسَنِ الشَّرود

وأما القَوْصَرَة أو القوصَرَّة — وهى فى الأصل وعاء من قصب — بوص — يرفع فيه التمر من البوارى — جمع بارية : الحصير المنسوج ، فقد قال الراجز — وينسب إلى على بن أبى طالب — وإنى أستبعد أن يكون علىٌّ أبا عُذْرٍ هذا الرجز :

أفْلَحَ من كان له قوْصَرَّهْ يأكُلُ منها كلَّ يوم مَرَّهْ

أراد بالقوصرة المرأة وبالأكل النكاح ، وبعد هذا البيت :

أفْلح من كان له مزَخَّهْ يَزُخُّها ثُمَّ ينامُ الفَخَّهْ

والمزخّة أيضا : زوجة الرجل لأنه يزخُّها ، أى يجامعها ، والفَخّة نومة الغداة أو نومة التعب » . وبعد هذين البيتين :

أفلَح من كانت له دَوخلَّهْ يأكُلُ منها كُلَّ يوم ملَّهْ[1]
افلَحَ من كانت له هِرْشفَّهْ وتَشْفةٌ يملأُ منها كَفَّهْ[2]
أفلَحَ مَن كانت له كِرْديَدَهْ يأكُلُ منها وهَوْ ثانٍ جيدَهْ[3]

وأما البيت فقد قال الراجز * أكَبِرٌ غيَّرَنى أمْ بَيْتُ * يريد امرأته . وأما الدُّمية — وهى فى الأصل : الصورة المنَقَّشَة يُتنَمَّقُ فى صَنعتها ويُبالَغ في

---

(١) الدوخلة : سَفيفة — نسيج — من خوص يوضع فيها التمر والرطب أشبه بالزنبيل والملة : المرة .

(٢) المرشفة : خرقة ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تعصر فى الجف — ضرب من الأوعية — ويكون ذلك من قلة الماء ، أما النشفة فهى الحجارة السود كأنها محترقة تدلك بها الأقدام ويحكُّ بها الوسخ عن الرِّجل واليد .

(٣) الكرديدة : القطعة العظيمة من التمر ، وهو ثانٍ جيده يريد : وهو فى راحة ودعة .

تحسينها ويكنى بها عن المرأة . فقد قال الشاعر سُلَمِيّ بن ربيعة — شاعر جاهلي : وهذه الأبيات فى حماسة أبى تمام :

إنَّ شِواءً وَنَشْوَةً وخَبَبَ البـــازِلِ الأَمُونِ[1]
يُجْشِمُها المـــرءَ فى الهـــوى مَسافَةَ الغـــائطِ البطينِ[2]
والبيضَ يَرْفُلـــنَ كالدُّمى فى الرَّبْطِ والمُذْهَبِ المصونِ[3]
والكُثْرَ والخَفْضَ آمنـــا وشِرَعَ المِزْهَرِ الحَنونِ[4]
منْ لذَّةِ العيشِ والفتى للدَّهْرِ والدَّهرِ ذو فنونِ[5]

هذا وقد كنَى ابن العميد والصاحب ابنُ عَباد وأبو اسحاق الصابى وطبقتهم ، عن البنت ، بالكريمة ، وعن الصغيرة بالريحانة — والريحانة أيضا : كناية

---

(١) الشواء : اللحم المشوى ، والنشوة : السكر ، والخبب : السرعة وهو ضرب من الجرى ، ويقال للناقة والبعير إذ استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة ونطر نابه : أى انشق : بازل ، وناقة أمون : وثيقة الخلق قد أمنت العثار والاعياء ، أى ليست ضعيفة .

(٢) يجشمها المرء صفة لبازل أى يكلفها صاحبها قطع المسافة البعيدة فيما يهواه ، والغائط : المطمئن من الأرض ، والبطين : الواسع الغامض .

(٣) البيض : النساء ، والربط جمع ربطة وهى الملاءة ، والمذهب : ما حُبِّك نسجه من الثياب بخيوط من الذهب ، ويرفلن : يتبخترن .

(٤) الكثر يعنى به كثرة المال ، والخفض : الدعة ، وآمنا : نصب على الحال ، والشرع جمع شرعة وهى الوتر .

(٥) من لذة العيش خبر إن فى البيت الأول ، يقول هذا الشاعر : إن أكل الشواء وشرب الخمر وإعمال الناقة فى مآرب الانسان وغير ذلك مما ذكر ، لذة يصيبها المرء فى الحياة ، وقوله والفتى للدهر والدهر ذو فنون يقول : إن كل ذلك مما يلذ الانسان فى هذه الحياة ما دام الانسان مستهدفاً فيها للدهر ذى الغير والأفانين ، فالواو فى قوله والفتى واو الحال .

الزوجة — وعن الأمّ بالبرّة والحُرّة ، وعن الأخت بالشقيقة ، وعن الزوجة بكبيرة البيت ، وعن الحريم بمَنْ وَراء السّتر ، وعن الزفاف بتأليف الشّمْل ، وهذا باب واسع ، وللأدباء فيه افتنان .

ومنْ طريف ذلك أنه لما أهْدَى خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون ابنته قَطْر النّدَى إلى المعتضد العباسى كتب إليه يُذَكّرُه حُرْمَة سلفها بسلفه ، ويصفُ ما يَرِدُ عليها من أبّهة الخلافة ورَوْعَة السلطان ، ووَحْشَةِ الغُرْبة ، ويسأله إيناسَها وتقريبها ، أجابهُ المعتضد بكتاب كتبه أبو الحسين ابن ثوابه يقول فى فصل منه : وأما الوديعة أعزك الله فهى بمنزلة ما انتقل من يمينك إلى شمالك ، عِنايةً بها وحياطةً عليها ، ورعاية لودّك فيها . فلما عرضه على الوزير عبيد الله بن سليمان ارتضاه وقال له : كنايَتُكَ عنها بالوديعة نصف البلاغة ، وَوَقّع له بالزيادة فى جراياته وإقطاعاته[1] . ومثله ما كتبه أبو اسحاق الصّابِى عن عز الدّوْلة بن معز الدولة وقد أهدى ابنته إلى عمدة الدولة الحَمْدانىّ ، قال : وقد توجه فلان ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفى بما يحفظه ، نحوكَ ياسيّدى ومولاى أدام الله عزك ، بالوديعـــة ، وإنما نُقِلت من وَطَنٍ ، إلى سَكَنٍ ، ومن مَغْرِس ، إلى مَغْرِس[2] ، ومن مَأْوى مَرِىٍّ وانعطاف ، إلى مَثْوى كَرامَةٍ وإلْطاف ، وهى بَضْعَةٌ مِنّى[3] حصلَتْ لديْك ، وثمرة من جَنَى قلبى

---

(١) انتقد الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب هذا الكتاب بعد ذلك — وكان منافسا لابن ثوابه — فقال : ما أقبح هذا ! تفاءل لامرأة زفت الى صاحبها بالوديعة والوديعة مستردة : وقوله . من يمينك إلى شمالك أقبح لأنه جعل أباها اليمين وأمير المؤمنين الشمال .

(٢) مغرس : موضع الغرس ، ومغرس الثانية تروى معرس والمعرس : مكان العرس .

(٣) بضعة تقرأ بفتح الباء كهَبْرة وبكسرها كفِلذة =

انقبيلتْ إليكَ ، وما بانَ عنى مَنْ وَصَلْتُ حبْله بحبْلك ، وتخيرت له بارعَ فضلك ، وبوّأتُهُ المنزل الرَّحْبَ من جميل خلائقك ، وأسكنتُه الفسيحَ من كريم شيمك وطرائفك .

« وبعد ، فلهذه المناسبة نقول : إن إطلاقنا اليوم على العذارَى : آنسات ، وعلى الثيبات : سيدات ، لا بأس به ، فقد جاء فى اللغة : جارية آنسة : طيبة النفس تحب قربك وحديثك ، ومعنى جارية : صبيّة وفتاة ، وجمع الآنسة : آنسات وأوانس ، وأمر السيدة أوضح من أن يوضح ، وكذلك العقيلة والجمع عقائل ، والعقيلة : المرأة الكريمة المخدَّرة .

***

أسماء الزوجة :

قال أبو علىّ القالى فى كتابه الأمالى : حَلِيلَةُ الرجل : امرأته ، وحليلته أيضا : جارَتُه التى تُحالُّه وتنزل معه ، قال الشاعر — وهو أوْسُ بنُ حَجَرَ :

ولَسْتُ بأطلَسِ الثوبين يُصْبِي حليلتَهُ إذا هَجَعَ النِّيامُ

« قوله : بأطلس الثوبين يعنى أن الطُّلْسَة تلتبِسُ بالظلام فتخفَى — ولو كان أبيضَ الثياب لنمَّتْ عليه ، والطُّلْسَة : كُدْرَةٌ فى غَبَرَة ، والذئب أطلس ، وقيل إنه أراد بالطُّلْسَة هنا دَنَسَ الثياب الذى هو كناية عن اقتراف الفواحِش ، ويقولون فى ضد هذا : طاهرُ الثوب ، كما قال امرؤُ القيس :

ثيابُ بنى عوفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وأوجُهُهُمْ يومَ الكريهةِ غُرَّانُ »

قال أبو على : وعِرْسُ الرجل : امرأته أيضا ، قال امرؤ القيس :

كَذَبْتِ لقد أُصْبِي على المرءِ عِرسِهِ وأمنَعُ عِرسِي أن يُزَنَّ بها الخالى

« يُزَنَّ : يُتَّهَمُ » .

= وقِطْعَة وخِرقة ، فبالفتح يذهب بها إلى الشبه ، وبالكسر : أى أنها جزء منى ، وفى الحديث « فاطمة بَضْعَة منى » تقرأ بالفتح وبالكسر .

والرجل أيضا عِرْسُها ، قال : وهى — أى امرأة الرجل : حَنَّتُهُ ، قال كُثيِّر عَزَّة — ونورد البيتَ وصِلَتَه : —

تَقُولُ ابنةُ الضَّمْرِىّ : مالكَ شاحِباً ... وقد تَنْبَرِى للعَيْنِ فيكَ المحاسِنُ
جفَوْتَ فما تَهْوَى حديثَكَ أيِّمٌ ... ولا تجتدِيك الآنساتُ الحواضِنُ
فقلتُ لها : بَلْ أنتِ حَنَّةُ حوْقَلٍ ... جرَى بالفِرَى بينى وبينكِ طابِنُ
فصدَّقْتِه فى كُلِّ حقٍّ وباطِلٍ ... أتاكِ به نَمٌّ الأحاديث خائِنُ

«ابنة الضمْرِى : صاحبتُهُ عَزَّة الضَّمْرِيَّة ، وتنْبرِى : أى تعترض ، وتجتديك : أى تطلب ما عندك ، والحواضن : اللاتى يُرَبِّين الأطفال ، والحوقل : المسِنُّ ، وقد حوْقَل : أى أسَنَّ وكَبِرَ ، والحوقل : الذى أدْبَرَ عن النِّساء ، والفِرَى : جمع فِرْيَة ، وطابِن : أى رَفيقٌ داهٍ خَبٌّ عالم به فطِنٌ» .

وقال الشاعر — هو قتادَة اليَشْكُرِىّ — وهو ابنُ مُغْرَب ، وكان يُهاجِى زيادا الأعجم ، وكان قد تزوَّج أرنبَ الحنفية ، فلم تلِدْ له وَنَشِزَتْ عليه ، فطلَّقها ، وقال — ونورد البيت وصلته :

تجهَّزِى للطلاق واصْطَبِرِى ... ذاك دواء الجوامِحِ الشُّمُسِ
ما أنتِ بالحَنَّةِ الودُودِ ولا ... عِنْدَكِ خَيْرٌ يُرجَى لِلْمُتَمِّسِ
لَلَيْلَةٍ حِينَ بِنْتِ طالقَةً ... أَلَذُّ عندِى من ليلةِ العُرُسِ
بِتُّ لديْها بِشَرِّ منزِلَةٍ ... لا أنا فى نَعْمَةٍ ولا فَرَسِى
هذا على الخَسْفِ لاقضيمَ لَهُ[1] ... وَبِتُّ ما إنْ يَسُوغُ لى نَفَسِى

ولَمَّا ألْحَقَها بأهلها وبلَغَها قولُه شَدَّتْ عليها ثيابَها وأتت باب يزِيدَ بنِ

---

(١) القضيم : ما تقضمه الدابة وتأكله كالشعير .

المهلبي ، فاستأذنت عليه ، فدخلت وقتادةُ عنده وأنشدت أبياتاً منها :

فالجيفةُ الجِنْزِيرُ عند ابنِ مُغْرَبٍ ... قتادةَ إلاَّ ريحُ مِسْكٍ وغاليهْ

قال القالي : وهي — أي امرأة الرجل : طَلَّتُه أيضا ، والطَّلَّة في الأصل : النَّعْمة — الرفاهية — والخمر السَّلِسَة — قال الشاعر — هو العُجَيْر السَّلُولي ، من شعراء الدولة الأموية : وكان الضَّحَّاكُ أخوه أنكحَ ابنتَه[1] قُطَيَّة رجُلاً من باهلة على ألف دينار ، وذلك اختيارُ أُمِّ الجارية — الفتاة — ورغبتُها في المال ، فأتاه أخوه العُجَيْر في نفر من قومه يكلمونه في فَسْخ ذلك النِّكاح ، فأبَى ، فغَلَبَه العُجَيْر على الجارية فارتدفها ثم سار بها ، وقال في ذلك من أبيات :

وإنَّ امرأً في الناسِ كنتُ ابنَ أُمِّه ... تبدَّل مِنِّي طَلَّةً لَغَبِينُ

دَعَتْكَ إلى هِجْرِي فطاوَعْتَ أمْرَها ... فنفْسَكَ لا نفسِي بذاكَ تُهِينُ

وقال الآخر :

ألاَ بكرَتْ طَلَّتِي تَعْذُلُ ... وأسماءُ في قولِها أعْذَلُ

تُريدُ أُسَيْماءَ جمعَ الثَّلا ... دِ والضَّيفُ يطلبُ مايأكلُ

« أُسَيْماء : تصغير أسماء ، وقوله : أعذلُ يريد : أولى بالعذل » .

قال القالي : وربَضُه ورُبْضُه — أي أن من أسماء الزوجة الرَّبَضَ والرُّبْض وهما في الأصل : كُلُّ ما أوَيْتَ إليه — قال الشاعر :

جاء الشتاءُ ولمَّا أتَّخِذْ رَبَضاً ... يا وَيْحَ كفِّيَ من حفْرِ القراميصِ

« القرموص : حُفْرَةٌ يَحْتَفِرُها الصائد إلى صدْره فيدخُلُ فيها إذا اشتدَّ عليه البردُ »

---

(١) ابنته : أي ابنة العجير « انظر هذه القصة في الأغاني ج ١١ وهناك ما يخالف ما هنا » .

وجاء فى اللسان : والرِّبْضُ والرُّبض والرَّبَضُ : الزوجة التى تقوم بشأنه وقيل : هو كُلُّ من استرحتَ إليه كالأمِّ والبنت والأخت ، ويقال : ما ربَضَ امرأً مثلُ أخت .

قال القالى : وقعيدَةُ الرجلِ أيضاً : امرأتُه ، قال الأسْعَرُ الجُعْفِىّ — شاعر جاهلى :

لكن قعيدَةُ بيتِنا مجفُوَّةٌ بادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِها ولها غِنَى

«الجناجن : عظامُ الصَّدْر ، وقوله : مجفوّة يقول : إنّ قعيدَةَ بيتِنا هزيلة باد جَنَاجِنُ صدرها على غِنَاها» .

قال القالى : وزوْجُه أيضاً ، قال الأصمعىّ : ولا تكاد العربُ تقول : زوجته ، وقال يعقوب — ابن السِّكيت — يقال : زَوْجَتُه ، وهى قليلة ، قال الفرزدق :

وإنّ الذى يَسْعَى ليُفْسِدَ زوجتى كساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُها
ومِنْ دُونِ أبْوالِ الأسُودِ بَسالةٌ وبسْطَةُ أيْدٍ يمنع الضيمَ طُولُها

«يستبيلها : يأخذ بولها فى يَدِهِ» .

قال القالى : وهى بعْلُه أيضا وبعْلته ، وأنشد الفرّاء :

شَرُّ قَرِينٍ للكبير بَعْلَتُهْ تُولِغُ كَلْباً سؤرَهُ أو تَكْفِتُهْ

«يعنى : أنّ امرأته قد تقذّرته حِينَ كَبِرَ ، فإذا شرب لبناً وبقىَ سؤرُه — والسُّؤْرُ : بقيّة الشَّراب فى الإناء — تولِغُهُ كلباً أو تكفِتُه ، أى تقلبُه على الأرض» .

أقولُ : والتبعّل فى الأصل : حُسْنُ التحبُّبِ والتزيُّن ، وقال الفارسى : بَعلُ الشىء : ربُّه ومالِكُه ، وأصْلُ البعْل الذى هو الزَّوْج مُشْتَقٌّ مِنْه فأمّا قولُهم فى المرأة بعْلَتُه فلمكان الاقتران وربما ملكته بهواها له .

قال القالى : وبيتُه أيضاً ، أى أنه يقال لزوجة الرجل : بَيْتُه ، كما تقدم آنفاً قال الراجز :

أقولُ إذ حَوْقَلْتُ أوْ دَنَوْتُ ... وبعدَ حَيْقالِ الرجالِ الموتُ

مَالِىَ إذَا أنْزِعُها صَأْيتُ ... أكبرُ غيرَنى أمْ بَيْتُ

«حوقل الشيخ : اعتمد بيديه على خَصْرَيْه، يصف هذا الراجز جذبَهُ للدَّلْوِ، وصأيتُ من قولهم صأى الفَرْخُ : إذا سَمِعْتَ له صوتاً ضعيفاً ، وإنما يريد أنينه من ثِقَلِ الدَّلْوِ ، وقوله : أم بَيْتُ ، أى لأن العَرَبَ أقوى وأشدُّ».

قال القالى : وشَهْلَتُه أيضاً ، أى أنه يقال لزوجة الرجل : شَهْلَتُه ، قال أبو حيَّة النُّمَيرِىّ يصفُ صائداً وثوْراً :

وغادَاهُ مِنْ جِلاَّنَ ذِئْبُ مجاعَةٍ ... شَقِيٌّ بِهِ ضَارُورَةٌ وفُقُورُ

لَهُ شَهْلَةٌ شَابَتْ ومامَسَّ جَيْبَهَا ... ولا راحَتَيْها الشَّنْتَنَيْنِ عَبِيرُ

«ذئب مجاعة يعنى الصائد ، وضارُورَة وضَرُورَة وَاحِدٌ، وفقور جمع فقر، والجيب : جيب القميص ولعل المراد نحرها ومنه قولهم : فُلاَنٌ ناصِحُ الجيْبِ ، يَعْنُونَ بذلك قلبه وصدره أى أنه أمين ، والشنن : الغليظ » .

قال القالى . والشهلة أيضا : العجوز .

«وبعد» فقد فات القالىَ كثير من أسماء الزوجة ، فمن ذلك قرينة الرجل مَثَلاً قال صاحب اللسان : وقرينة الرجل : امرأته ، لمقارَنتِهِ إياها ، ولعل القالىَ لم يقصد إلى الحصر ، وكذلك لم نَقْصِد .